العدد (1788) السنة السابعة - الخميس (6) أيــار 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

من الملابس الى الأجهزة الكهربائية

«البالات» استخدامها يثير الخجل وفي أوروبا ظاهرة طبيعية

وائل نعمة
تصوير / مهدي الخالدي

كان يشعر بالخجل حينما يقلب بيده الملابس المتناثرة على سطح العربة، وان كان الامر يستحق ذلك، فيخطفه خوف من ان يراه احد حاملا قطعة من هذا النوع وكأنه قد اقترف ذنبا ما! فيغسلها أكثر من مرة حتى يزيل الرائحة التي تعد العلامة التجارية المسجلة لملابس «البالة»، لكن بعد سنوات من التخفي وراء هذه الملابس، يجد أسواقا في أوروبا نسخة طبق الأصل مما موجود لدينا ولكن بتسمية أخرى تدعى بـ(سكوند هاند) حينها أدرك انه كان يبالغ في الخجل من الشراء او الوقوف عند هذه الأسواق، فأسواق «البالة أصبحت منتشرة في بغداد وكل المحافظات حين عادت الى الحياة بفترة التسعينيات ابان الحصار، فيما كانت قد اختفت عند نهاية الستينيات من القرن الماضي.

أحد أسواق البالات في بغداد

لم الخجل؟

حسن حينما زار هولندا أخذه احد الأصدقاء الى سوق لبيع المواد المستعملة، حينها تفاجأ بأن دولة متطورة ودخل الفرد فيها يصل الى ٣٥٠٠٠ دولار سنويا، يمكن ان يقتنوا أجهزة وملابس مستعملة، فيما لو قارن «حسن» وضع العراق الصعب وعدد الفقراء وممن هم تحت خط الفقر، وعدد العاطلين عن العمل لوجد ان من الطبيعي في مثل هكذا ظروف ان يلجأ الكثير الى سوق «البالة».

يقول علاء حامد (١٦) عاما وهو يتجول في الباب الشرقي بين الملابس المستعملة: أسواق «البالات» تجتذب الشباب والشابات الذين يرغبون في ارتداء ملابس مستوردة لكن إمكانياتهم المادية ضعيفة لا تسمح لهم بذلك كما لا تمكنهم من شراء ملابس جديدة محلية الصنع، وعلاء يجد إحراجاً فيما لو علم احد أصدقائه بأنه يرتدي ملابس من سوق «البالة «!

وفي هذه الأسواق تجد الملابس معروضة إما على صندوق من الكرتون أو على سرير حديد، ويدخل الزبون للمحل ليختار ما يناسبه، وخلافا للمحلات فإن أغلبية الباعة يفترشون ببضاعتهم على الأرصفة الى جوار بعضهم البعض.

الكاظمية والشورجة

يوسف ناجي (٤٠ عاما) صاحب محل لبيع الملابس والأحذية المستوردة المستعملة في الكاظمية يقول أن أكثر ما يقبل الشباب على شرائه من هذه البالات هي القمصان والبنطلونات الجينز ذات الماركات العالمية وخاصة القادمة من أسواق أوربا وأمريكا.

وعن مصادر هذه البضاعة داخل العراق ومن أين تأتي، يوضح يوسف «من مصدرين هما سوقا الكاظمية والشورجة وتجار البالات الكبار يأتون بها من منفذين حدوديين هما شمال العراق من خلال تركيا، والمنفذ الآخر هو من جنوب العراق في محافظة البصرة وموانئها من خلال دول الخليج».

أما عن نوعية الزبائن الذين يتجولون في أسواق البالات فهم من الفقراء والأغنياء لكن الفئة الأخيرة تختار أفضل الملابس المستعملة ذات الأسعار المرتفعة، ويضيف يوسف «لدي زبائن خاصون احجز لهم بعض الملابس والحقائب والأحذية كلما جاءت لي شحنة بالة جديدة».

وعن أسعار البالات فهي ككل البضائع فيها الرخيص جدا وفيه الغالي نسبيا، وتبدأ أسعار ملابس البالات من الدولار وتصل إلي ٢٠ دولارا، وكذلك الأحذية والحقائب وقد يصل ما تم استخدامه استخداما خفيفا إلي ٣٠ دولاراً.

ويضيف يوسف: تتراوح أسعار الملابس الصيفية من دولار واحد إلى خمسة دولارات وتصل أسعار بعض الملابس الفاخرة التي تشهد إقبالا من زبائن معينين إلى ٢٠ دولاراً، أما أسعار المعاطف الشتوية والقمصان الجلدية فتتراوح أسعارها بين خمسة دولارات وصولا إلى ٤٠ دولاراً».

ويضيف أن «هناك معاطف وملابس شتوية وصيفية غير مستعملة، لكنها تندرج ضمن المستعمل».

ويشير البائع إلى أنه «أثناء فتح و فرز البالة يتم تحديدها في مستويات حسب نوعيتها وجودتها ودرجة استهلاكها (قطنية، جلدية، ألعاب، صوف، بياضات، ملابس داخلية، وغيرها)، وتتم عملية الفرز في بيوت خاصة بعيدة عن محل العرض والبيع، وكثيراً ما توجد قطع ثمينة وعالية الجودة ونادرة لا مثيل لها في المجموعة وهنا يتم تخصيصها لزبائن معينين».

ويرى البائع ان «البالة ملابس كانت أم أحذية أم ألعاباً لا يهم، المهم أن أسعارها مناسبة لصغار الكسبة ومحدودي الدخل، ويذهب الجيد والمميز منها لزبائنها المميزين من ذوي الدخل الميسور الذين يحبون التميز والتفرد في نوعية لباسهم»، ويختتم حديثه بالقول إن البالة تنافس بقوة أسواق الملابس الجديدة الجاهزة، خصوصا فيما يتعلق بالملابس الجلدية والقطنية وكذلك الألعاب.

أفضل من الصيني

الحاج أبو علي (تاجر جملة) في سوق الشورجة يذكر إن سوق البالات قد انخفضت أسعاره بسبب الملابس الصينية الرخيصة، ومثال على ذلك البنطلون (الجينز) الرجالي كان يباع في سوق البالات بـ(٢٥) ألف دينار والآن بـ(٧) آلاف دينار، وقد تم استيراده بكثرة في السوق وسعره رخيص جداً في سوق الملابس الجديدة الصينية المنشأ، وبالرغم من ذلك فإن التجار يستوردون هذه البضاعة وذلك للتسهيلات الكمركية الكثيرة إضافة إلى التسهيلات الحدودية، وكذلك تباين رسوم الكمارك المفروضة عليها سابقاً فقد انخفضت الآن من (١٥٠-١٠٠) دولار إلى (٢٥-٢٠) دولاراً على المجموعة او ما تسمى (راس البالة) الواحد.

أسعار رخيصة

ويبدو ان أسواق «البالة» قد توسعت وأصبحت تحتوي على كل الاحتياجات من ملابس وأحذية وحقائب سفر وغيرها من البضائع، ام سجا (موظفة) هي الأخرى تجد ولكنها في الوقت نفسه ملابس غيره التي سبق لشخص آخر ارتداؤها، ومن هنا ينشأ هذا الانفصام، وعادل لا يرى في الأوروبيين او البريطانيين شيئا من الانفصام من جراء تبادل الملابس او شراء المستعمل. فلماذا ينشأ الانفصام لدينا؟

الأمراض الجلدية

وبرغم الإقبال الكبير على أسواق البالات في العراق إلا أن هناك من ينفر منها، ومنهم قصي سليم (٢٤ عاما) فهو يرى أنها بضائع تحمل الكثير من الأمراض الجلدية.

ويضيف: «لقد سمعنا أن العديد قد أصيبوا بأمراض جلدية ومنها ما هو غير مألوف لدينا، وينصح قصي كل الشباب الابتعاد عن ملابس «البالات» وإذا اضطروا فعليهم أن يغسلوها ويعقموها جيدا قبل ارتدائها.

وأيد أحمد ما قاله صديقه قصي، مشيرا إلى أن وزارة الصحة العراقية تعلن وباستمرار أن هذه الملابس معظمها تحمل العديد من الأمراض الجلدية ونصحت بعدم شرائها لأنها رغم تطهيرها وتعقيمها تبقى مصدرا للمخاطر الصحية.

وقال الطبيب (أحمد وهاب) اختصاص الأمراض الجلدية: هذه الملابس غير خاضعة للرقابة الصحية وذلك لعدم السيطرة على المنافذ الحدودية، لذا لا أفضل شراءها وخاصة ملابس الأطفال منها ولماذا نلبس هذه الملابس المستعملة وقد تحسن الوضع المعيشي للفرد العراقي وأصبح باستطاعته شراء الملابس الجديدة فيجب ترك هذه الملابس وعدم شرائها مهما كانت رخيصة الثمن، وانها قد تسبب أمراضاً جلدية مثل الصدفية والجذام والكثير من الأمراض غير المعروفة التي تسببها حالة الاحتكاك بين الجسم ونوعية الملابس والخامات المصنوعة منها»، ولكنه أيضا ينصح جميع من يشتري هذه الملابس والأحذية أن يعقموها ويغسلوها قبل ارتدائها بالرغم من انه غير مقتنع بل التعقيم قد ينهي المشكلة!

تلفزيونات مستعملة

الشخصية، فهي ملابسه التي يرتديها في البضائع المستوردة بدأت تدخل في كل مفاصل الحياة حتى في الأجهزة الكهربائية، حيث يقول ناظم زاير صاحب محل لبيع المواد الكهربائية المستعملة في بغداد الجديدة إن تحسن الوضع الاقتصادي للعائلة العراقية بعد التغيير وانفتاحها على العالم جعلها تتأثر بما يمر به العالم الخارجي اذ لم يعد للتلفاز الصيني الأسود والأبيض وجود، وتقاعد (ابو الجنل).

حيث سجلت مبيعات أجهزة التلفزيون ذات الشاشة المسطحة كبيرة الحجم نموا كبيرا في السوق العراقية خلال العام الماضي حيث أصبحت الشاشة مقاس ٣٢ بوصة هي المطلوبة، وبما ان أسعار هذه الأنواع من التلفزيونات تصل الى المليون او اقل من ذلك، لذا لجأ المهتمون باقتناء هذه الأنواع الى مصادر أخرى تبيع شاشات البلازما والفلات وهي «بالة» مستعملة وفي أسواق المواد المستعملة.

يقول مرتضى عماد الذي يملك متجرا لبيع الأجهزة المستعملة في سوق هرج: في هذه الفترة نجد ان الإقبال على شراء التلفزيونات المستعملة ذات الشاشات الكبيرة غير مسبوق، خصوصا ذات الماركات العالمية مثل فلبس و»باناسونك وناشنول»، كون أسعارها زهيدة، وذات جودة عالية.

وأضاف: مصدر التلفزيونات هذه هو هولندا وانكلترا وهنالك تجار مختصون في هذا المجال يجلبونها الى شمال العراق ثم توزع بين محافظات العراق المختلفة داخل حاويات، تنقل بالشاحنات الى بغداد وبالتحديد الى المركز الرئيس في منطقتي ساحة الطيران في الباب الشرقي،وهناك مكان آخر في الباب الشرقي في سوق هرج، ومن هذه الأماكن توزع بين المحال المنتشرة في بغداد حيث يسحب أصحاب هذه المحال ما يحتاجونه من هذه الأجهزة وبطرق شراء مختلفة تعتمد على الجودة والنوعية والحجم.وتتراوح اسعار التلفزيونات من ٥٠ دولارا الى ٣٠٠ دولار.

ويذكر مرتضى بأن المواد قد تنوعت ودخلت معها (الصوبات) وأجهزة التكييف وغيرها من المواد الكهربائية.

مع بدء تجربة الكلاب البوليسية بديلاً عن أجهزة كشف المتفجرات

هل سيأتي اليوم الذي يقال ان استيرادها كان خاطئاً لأنها غير كفوءة؟

بعد إن كترت المجادلات والشكوك حول أجهزة كشف المتفجرات (السونار) ومدى قلة فعاليتها في كشف السيارات المفخخة والعبوات اللاصقة وإمكانية اجتيازها السيطرات الأمنية من دون إن تكتشف، وهذا السونار غالبا ما يعمل ويشير إلى السيارات التي تحمل عطرا ومساحيق تنظيف الأمر الذي اثار الدهشة والاستغراب لدى المواطن العراقي! فضلا عن عدم الثقة بهذه الأجهزة بعد ان كشفت وزارة الداخلية عن وجود فساد مالي وأداري في العقود المبرمة لاستيرادها، على الرغم من معرفة فشلها قبل التعاقد عليها، فارتأت وزارة الداخلية إمكانية تغيير هذه الأجهزة باستخدام الكلاب البوليسية المدربة على كشف المتفجرات،المخدرات،العبوات اللاصقة والانتحاريين، فهل سوف تجد هذه الكلاب إقبالا لدى المواطن العراقي و ما هو الفرق بينها وبين أجهزة كشف المتفجرات الحساسة (السونار)؟

تحقيق وتصوير: إيناس طارق

استعراض صباحي

تساؤلات

وبالنسبة للمواطن العراقي الذي كثرت تساؤلاته هل ان هذه الكلاب هي الحل الأمثل لطول الانتظار والخلاص من السيارات المفخخة،والقضاء على كل أنواع الإرهاب وحقيقة معادلة رياضية بسيطة لجمع عدد السيطرات الأمنية المنتشرة في العاصمة فان الأمر يحتاج إلى الالف من هذه الكلاب لنشرها! فما هو الحل؟!

مديرية الكلاب البوليسية

يقول العميد محمد مصحب هجر المدير العام لمديرية الكلاب البوليسية لـ(المدى):

تأسست مديرية الكلاب البوليسية في العراق عام ١٩٧٤ وكانت ضمن قسم تابع لعمادة كلية الشرطة وكان الغرض من إنشاء هذا القسم هو تزويد الطلاب الدارسين بمعلومات عن كيفية معاملة الكلاب البوليسية، أي أن القسم كان نظرياً فقط إما بعد سقوط النظام المقبور عام ٢٠٠٣ الفكرة اختلفت تماما فالقوات المتعددة الجنسية جعلت من المديرية ركيزة يعتمد عليها ومن ركائز الأمن إذا تم التعاون مع وزارة الداخلية لرفد المديرية بمدربين اختصاصيين يستطيعون القيام بالإشراف وتدريب وتأهيل منتسبين من رجال الشرطة كافة ضباطا ومفوضين.

وأضاف محمد ان المقصود بالتدريب هو إمكانية جعل المرشد المرافق للكلب على قدر كاف من الانسجام والتعامل معه، فهناك أنواع مختلفة من التدريبات منها تدريب رجال الشرطة وتدريب الكلاب على الاختصاص وبمعنى أكثر وضوحا هناك كلاب يكون عملها ضمن اختصاصها مثلا كلاب كشف المتفجرات وهذه الكلاب تعمل فقط على كشف المتفجرات،كشف المخدرات أيضا هذه الكلاب لتكشف المخدرات،تميز مبرز جرمي مثل الاستدلال على المجرم من راحة جسده أو ساعة يداه أو أي شي يتعلق بشخصه وهذه تدعى بكلاب تفتيش الأشخاص، وأضاف محمد ان هناك كلابا أيضا تتدرب وتختص بتتبع إقدام و اثار المجرم.

عمليات التدريب

العقود المبرمة

واستدرك محمد في حديثه قائلا: ان وزارة الداخلية وبالتعاون مع مديريتنا استطاعت إبرام عقد مع جنوب إفريقيا لتزويدنا ١٥ كلبا مدربا عام ٢٠٠٧ و٢٠٠٩ تم تزويد المديرية ب(١١٢ (كلبا بوليسيا، وهذه العقود تعتبر الوجبة الأولى لنشرها وتوزيعها على مداخل سيطرات بغداد والتي تم إنشاؤها ضمن خطة إنشاء وبناء ١٨ سيطرة تعتبر رئيسية، وكل سيطرة تزود ب ٦(كلاب)مع طبيب بيطري عسكري وحاليا بدأ العمل ببعض تلك السيطرات منها سيطرة منطقة التاجي، وبوب الشام، سيطرة شاطئ دجلة،وفي الأسابيع القادمة سوف توزع هذه الكلاب على السيطرات الأخرى المحددة ضمن خطة عمل الوزارة الأمنية. واسترسل محمد في حديثه ان سعر الكلب الواحد ومن النوعية الجيدة والمدربة في العالم يبلغ ٧٠٠٠ أو ٨٠٠٠ دولار أمريكي، وهذا يكون حسب الشركات المتعاقد معها فهناك كلاب لا يتجاوز سعرها ٥٠٠٠ دولار لكنها ليست ذات كفاءة عالية في الأداء وعندما تم التعاقد مع الشركات الأجنبية لشراء الكلاب البوليسية ذهب فريق عراقي متكامل من كافة الاختصاصات لاختيارها فالأمر لم يتم عشوائيا إنما وفق شروط ومواصفات عالمية ومتعارف العمل بها في الدول الأوروبية والأمريكية، فضلا عن توفر شرط أساسي هو ان لا يتجاوز عمر الكلب عن سنة ونصف إلى سنتين فقط.

انتهاء عقود الشركات الأمنية

وأكد العميد محمد ان انتهاء عقود الشركات الأمنية ومن تاريخ ٢٠٠٩/١/١ وحتى الآن كان اكبر اختبار لجميع دوائرنا ومؤسساتنا الحكومية التي اعتمدت على نفسها في توفير الأمن وحتى بالنسبة لمديريتنا بدأت تقدم العون والمساعدة في توفير الأمن من خلال الاستعانة بالكلاب البوليسية الموجودة لدينا في حالة عقد مؤتمر او احتفالية وبأي مكان كان، نرسل وحسب طلب الوزارة فريق عمل، إلى هناك لتفتيش المكان إضافة إلى تواجد الكلاب المدربة في عدة أماكن حساسة ومهمة للدولة، وحاليا سوف نقوم بتزويد مديرية الإطفاء بعدد من الكلاب البوليسية لإمكانية المساعدة في إنقاذ أرواح المواطنين في حالة حدوث انفجارات أو حتى كوارث طبيعية.

نسبة الخطأ لا تتجاوز ٣٪

وعلق الملازم دريد مسؤول تدريب الكلاب البوليسية وكان ضمن ميدان التدريب للمدى قائلا: ان التعامل مع الكلاب المدربة والتي تسمى البوكسر في كشف المتفجرات أفضل من الأجهزة المستخدمة حاليا والمسماة السونار وذلك لان نسبة حصول خطا بحاسة الشم لدى الكلب المدرب لا تتجاوز ٣٪ لان نسبة الكفاءة في الأداء عالية وفي حالة ملاحظة المرشد ان الكلب بدأ يصاب بنوع من الخمول وقلة رغبة في العمل،هنا الأمر يحتاج إلى دورة تدريبية مساعدة وإعادة تأهيل من جديد ولا ضير في ذلك، علما ان موعد الدورة التدريبية تكون لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر تستمر ليل نهار أي يكون التدريب في الأوقات كافة دون استثناء،والغاية من ذلك هو لتعليم الكلب العمل في جميع الأوقات ومختلف الأجواء فقبل أسبوع وعندما هطلت الإمطار أخرجنا الكلاب للتدريب، والبحث عن المتفجرات.

صفات المرشد

فيما أكد المدرب سالم الذي يمتلك خبرة في العمل تجاوزت (١٧) عاما ان من أهم شروط المرشد هو امتلاكه الرغبة الحقيقية بالعمل مع الكلاب البوليسية وان تظهر هذه الرغبة من خلال العمل وأداء مهمته بأحسن وجه كذلك العناية بالكلب البوليسي ومكانه ومكان العمل إضافة إلى حرص المرشد على أداء عمله وان يكون متفانيا ودقيقا وذو أخلاق حسنة ومتعاونا مع زملائه في المهنة ويحرص على العمل الجماعي أي يعمل بروح الفريق الواحد وهناك شرط أساسي في الاختيار هو سلامة البنية الجسدية والنطق للحروف ولا يشكو من عاهة تمنعه من أداء مهمته بشكل جيد، فضلاً عن تمتعه بالمظهر الجيد (جيد القيافة) ويتمتع بذكاء وذي إصغاء جيد وحضور متطور، حنون وأنساني وحريص على أداء حقوق الكلب فضلا عن إجادته للقراءة والكتابة كل ذلك يجمع مع خبراته المكتسبة من خلال التدريب مثل (الخبرة، الكفاءة، التطور، المهارات في العمل)، هذه الشروط والمواصفات تؤهله ان يكون مرشد.

تدريب ميداني

وإثناء تواجد فريق المدى في المديرية حضرنا التدريب الميداني للمرشدين والكلاب البوليسية والذي كان عبارة عن نشر صناديق مختلفة تحوي داخلها مجموعة من المواد مثل مساحيق الغسيل والبهارات القوية الرائحة، فضلاً عن بعض المتفجرات وشاهدنا بأم أعيننا كيف استطاع الكلب اكتشاف الصندوق الحاوي على المتفجرات الشديدة الانفجار ومن ثم بعد ذلك بدأت الجولة الثانية من التدريب وكانت لتدريب الكلاب البوليسية على استخراج المواد المتفجرة من الحقائب المتشابهة استطاعت الكلاب تمييزها، ومن ثم بدأت الجولة التدريبية الثالثة والتي تسمى تدريب الكلاب على تفتيش الأشخاص بحيث توضع متفجرات عند شخص ما ويبدأ الكلب بالشم لتمييز من يحمل هذه المتفجرات وكانت أيضا النتيجة موجبة.

زخم العمل

وأشار سالم الى ان وضع مجموعة من الكلاب في كل سيطرة كان يكون خمسة هو لإمكانية تمتع الكلاب بالراحة لفترة من الوقت فالحيوان يحتاج إلى الراحة وفترة من النوم مع العلم ان نوعية هذه الكلاب البوليسية هي العمل المستمر لكن للحفاظ على قابليتها ونشاطها يجب توفير ما ذكر أعلاه، لهذا نعتقد الخمسة كلاب كافية للعمل في السيطرات.

نتائج المحافظات

وعلق الملازم دريد ان النتائج التي حققتها المحافظات في استخدام الكلاب البوليسية كانت جيدة جدا منذ تاريخ ٢٠٠٩\٧\٥ خاصة في محافظة كربلاء،النجف وديالى التي اكتشف فيها وبواسطة استخدام الكلاب المدربة على معامل تفخيخ السيارات وكذلك في محافظة الانبار وحاليا سوف يتم توزيع الكلاب البوليسية على محافظات ميسان، البصرة، اربيل،صلاح الدين و محافظة ذي قار.

الغذاء والطبابة

وأضاف دريد مع الأسف البعض يعتقد ان مصاريف هذه الكلاب كبيرة جدا على العكس هي لا تكلف في طعامها غير كوب واحد فقط لا يتجاوز وزنه ربع كيلو غرام من مادة تكون على شكل حبوب تضم في تركيبها جميع الفيتامينات والمقويات الخاصة بالحيوان لمده بالطاقة، واستدرك دريد قائلاً: ان هذه الحيوانات تكون تحت مراقبة الأطباء البيطريين وبشكل دوري وكل كلب يكون حاملا في حقيبته إثناء استيراده شهادة طبية تضم لقاحاته ووزنه الذي يقاس بين فترة وأخرى في العيادة البيطرية الموجودة داخل المديرية والتي تضم أطباء بيطريين اختصاصا وذوي كفاءة في العمل البيطري.